سكرتارية المطرانية

صادر / ١٣
مرفقات / ٣
التاريخ ١٩ / ١ / ٢٠٢٠م
رسالة رعوية ((٢ - ٢٠٢٠م))

مطرانية الاقباط الارثوذكس
لمركزي مغاغه والعدوة - بمغاغه

دروس روحية يقدمها لنا عيد الغطاس

مقدمة :

تحتفل كنيستنا المقدسة ، فى هذه الليلة المباركة ، بعيد الغطاس المجيد، الذى هو أحد الأعياد السيدية الكبرى .

لذلك أهنئكم من أعماق قلبى ، تهنئة قلبية ، بعيد الغطاس المجيد ، جعله الله عيداً مباركاً عليكم جميعاً ، وعلى بلادنا العزيزة مصر ، وعلى العالم أجمع ، وذلك بالبركة والسلام ، والخير والتقدم .

لكننى أود فى هذا العيد المبارك ، أن أتحدث معكم عن : دروس روحية ، يقدمها لنا عيد الغطاس .

ويعوزنا أن نتكلم عن درس هام ، قدمه لنا عيد الغطاس ، في يوم تذكار عماد السيد المسيح من يوحنا المعمدان ، وهو :

١- عيد الظهور الإلهى .

فحسناً أن يسمى عيد الغطاس ، بعيد الظهور الإلهى ، وذلك لأن المسيح كان في نهر الأردن ، يعتمد من يوحنا ، والروح القدس نازلاًعليه مثل حمامة ، وآتياً عليه ، والآب ينادى من السموات قائلاً : ((هذا هو ابنى الحبيب ، الذى به سررت)) (مت ٣ : ١٦ – ١٧)، (لو ٣ : ٢١ – ٢٢)، (يو ١ : ٣٠ – ٣٤).

ويكوننا ، نطلق على عيد الغطاس، عيد الظهور الإلهى ، هذا يرجع لأن فيه ظهر الثلاثة أقانيم بوضوح، وهذا لا يعنى أننا نؤمن ونعبد ، ثلاثة آلهة منفصلين ، وليس إلهاً واحداً .

حاشا أن يكون هذا الوضع الخاطئ بالنسبة لنا ، الذى لا نؤمن به ولا نعبده كمسيحيين ، ورفضناه منذ بدء المسيحية ، وإلى الآن نرفضه ، وسوف نستمر في رفضه ، لأن هذا اتهام باطل لنا ، لا صحة له على الإطلاق !! ويتعارض مع واقعنا الإيمانى والتعبدى ، والذى دائماً نعلنه علانية ، في بدء عبادتنا لله ، وذلك بالعبارة التي وردت في مقدمة قانون الإيمان المسيحى ، والتي تقول : ((بالحقيقة نؤمن ، بإله واحد)) .

فنحن نؤمن بإله واحد ، ونقدم له العبادة ، ولا نشرك به أحداً ، ولكن في نفس الوقت ، نؤمن بأن هذا الإله الواحد ، يقوم على ثلاثة أقانيم ، أي الآب الذى هو أصل الوجود ، والابن الذى هو عقل الله ، والروح القدس ، الذى هو روح الله . لأنه لا يعقل أن يكون الله أصل لكل وجود ، وليس له وجود . وأيضاً لا يعقل أن يكون الله أصل لكل الكائنات العاقلة ، وليس له عقل . هكذا لا يُعقل ، بأن يكون الله أصل وخالق كل الأرواح ، وليس له روح !!

بالتالى الله له وجود ، ويسمى الآب ، وله عقل ويسمى الابن ، وله روح ويسمى الروح القدس ، والثلاثة أقانيم ليسوا ثلاثة آلهة ، بل واحد لا غير . وهذا يؤكد عليه القديس يوحنا الرسول ، فى رسالته الأولى :((الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة ، الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد)) (١يو ٥ : ٨) .

ومن أولوية هذه الدروس ، أنه :

٢ – قدم لنا درساً عملياً ، عن السيد المسيح ، فى إخلاء ذاته وتواضعه .

وذلك لقبوله ولطلبه معمودية يوحنا المعمدان ، التى تعد معمودية للتوبة، بالرغم من أنه :((قدوس القديسين)) (دا ٩ : ٢٤) ، ومعصوم عن الآثام والخطايا ، ولا حاجة له إليها ، إلا أنه قبلها وطلبها

وتعمد بها نيابة عنا ، لكى يعلمنا أن أهمية التوبة فى الحياة الروحية مع الله ، وضرورتها على خلاص أنفس الناس فى يوم الدينونة ، والمصير الأبدى الصالح ، فى ملكوت السموات ، الذى : ((لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، محفوظ فى السموات لأجلنا)) (١بط ١ : ٤) .

مع العلم معمودية السيد المسيح ، من يوحنا المعمدان ، لم تكن فقط هى التى تشير إلى إخلاء السيد المسيح لذاته وتواضعه ، بل له هناك أحداث ومواقف كثيرة ، نتعلم منها دروساً فى إخلاء الذات والتواضع .

ومنها تجسده فى صورة إنسان ، مثل بقية البشر ، وصلبه وموته نيابة عنا (فى٢ : ٦ – ٨) ، بالرغم من أنه الله الظاهر فى الجسد (١تى ٣ : ١٦) ، ويستطيع أن يبيد الذين فكروا فى صلبه ، قبل أن يصلبوه ، إلا أنه لم يفعل ذلك ، حباً فى فداء وخلاص جميع الناس ، من الهلاك الأبدى .

ننتقل لدرس آخر ، علمه لنا المسيح ، من عماده على يدى يوحنا المعمدان ، وهو أنه :

٣ – أعطى مكاناً وأهمية ، للأعياد المسيحية ، بصفة عامة ، ولعيد الغطاس بصفة خاصة .

وبناء عليه سلم عقيدة الأعياد ، للآباء الرسل ، والآباء الرسل كرزوا وعلموا بها جماعة المؤمنين ، وسلموها لخلفائهم الآباء البطاركة والأساقفة ، ثم تم العمل بها فى الكنيسة ، إلى أن أصبحت جزءاً لا يتجزأ ، من إيمان وعقائد الكنيسة ، وتقليدها المقدس ، ومسلماتها وثوابتها الإيمانية ، وليتورجياتها ، التى من خلالها تُقدم العبادة لله فى الكنيسة ، بأساليب وطرق عديدة ، فى غاية من الدقة والترتيب والنظام ، وذلك منذ قرون طويلة من الزمن .

وكما أعطى المسيح بعماده ، مكانة وأهمية للأعياد المسيحية :

٤ – أعطى كذلك ، مكانة وأهمية لسر الكهنوت .

من المعروف لنا ، أن الذى عمد السيد المسيح ، هو يوحنا المعمدان ، الذى كان هو كاهناً ، وهو ابن زكريا الكاهن . لذلك بعماده من القديس يوحنا ، أعطى مكاناً وأهمية لسر الكهنوت .

من جانب آخر ، بعماد المسيح من يوحنا المعمدان ، الذى كان كاهناً ، ومن جنس الرجل ، ولم يكن من جنس المرأة ، يؤكد لنا عدم شرعية كهنوت المرأة ، وإن وضعه خاطئ وباطل ، ويجب أن يتوقف فوراً ، حرصاً على الإيمان المسيحى المُسَلّم للكنيسة ، وخلاص أنفس من يدعون أنهم يحملونه ، بالإضافة إلى خلاص أنفس المؤمنين بالمسيح .

كذلك بعماد المسيح من يوحنا المعمدان ، ابن زكريا الكاهن ، الذى هو من سبط لاوى ، ومن بيت هرون ، يوضح لنا أن الكهنوت ليس لجميع الناس ، بل للبعض من الناس .

وبناء عليه ، بعد صلب المسيح وموته وقيامته من بين الأموات ، ظهر لتلاميذه فى العلية ، وأعطاهم الكهنوت وسلطانه ورئاسته ، كما ذكر لنا الإنجيل المقدس ، عن المسيح فى حديثه مع الآباء الرسل : ((كما أرسلنى الآب، أرسلكم أنا . ولما قال هذا ، نفخ وقال لهم : اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)) (يو ٢٠ : ٢٢ -٢٣) .

مع العلم كان المسيح ، قبل أن يعطيهم الكهنوت ، دعاهم وتلمذهم ، وأعدهم واختارهم وعينهم ، من بين جميع الناس ، سواء كان هذا بالنسبة للتلاميذ الاثنى عشر ، أو الآباء الرسل السبعين ، وبالإضافة إليهم بولس الرسول .

إذن الكهنوت ليس كهنوتاً عاماً لجميع الناس، بل للبعض من الناس ، وبدعوة من الله بواسطة الكنيسة، كما أشار الرسول ، في رسالته للعبرانيين : ((لا يأخذ أحدٌ هذه الوظيفة بنفسه ، بل المدعو من الله ، كما هرون أيضاً)) (عب ٥ : ٤) .

فالكهنوت إذن كهنوت خاص ، بدعوة وبتعيين واختيار ، ووضع أيدى كهنوت شرعية ، قائمة على أساس رسولى ، مع وضع الأيادى ، ومنطوق الروح القدس ، والنفخة المقدسة ، وصلوات الليتورجية ، كما هو مكتوب في كتب السيامات الكهنوتية .

ومع كل هذا كان لله ومازال ، من سر الكهنوت ، أهداف روحية كثيرة ، منها الكرازة بالإيمان المسيحى للناس، وتعليمهم وتسليمه لهم ، مع التمسك به ، والحفاظ عليه ، كما سُلّم للكنيسة من جيل إلى جيل .

ولا يفوتنا أن نذكر ، أن من بين أهداف الله ، من إقامته لسر الكهنوت وحامليه ، هو رعاية الناس في الطريق إلى الله ، وخلاص أنفسهم أخيراً ، ومكافأة كل أب كان أميناً على كهنوته ، وفى خدمته ، بالنصيب الصالح معه في ملكوت السموات، وليس بالهلاك الأبدى في النار الأبدية ، مع الشيطان وملائكته .

وفى تسلسل حديثنا ، عن الدروس الروحية ، التي قدمها لنا عيد الغطاس ، هو :

٥- إعطاء مكانة وأهمية للأسرار الكنسية السبعة ، وخاصة سر المعمودية .

لذلك من المعروف ، والمُسَلَّم به إيمانياً وعقائدياً ، أن الأسرار الكنسية السبعة ، قائمة على لاهوت المسيح ودمه الطاهر ، الذى قدمه على الصليب ، لذلك سلمها للآباء الرسل ، بعد صلبه وموته وقيامته من بين الأموات .

لكن من المعروف تاريخياً ، أن الرب أسس سر الكهنوت ، في مقدمة الأسرار الكنسية السبعة ، لأن هذا السر فقط ، هو المنوط به تقديس وتتميم كل الأسرار ، بما فيه سر الكهنوت ، هو الذى يقيم الكهنوت . ثم يلى سر الكهنوت سر المعمودية ، الذى من خلاله، يولد المعمد ولادة ثانية روحية من الله (يو ٣ : ٣ ، ٥) ، (تى ٣ : ٥) ، وذلك بواسطة الروح القدس والماء والدم في المعمودية (١ يو ٥ : ٨) .

كما أن كل من تعمد ، ينال عطايا روحية أخرى كثيرة ، وأهمها ، في أنه حصل على عطايا سر ، توهله على خلاص نفسه ، كما ذكر القديس بطرس الرسول ، في رسالته الأولى : « إذ كان الفلك يُبنَى ، الذى فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء . الذى مثاله يخلصنا ، نحن الآن أي المعمودية » (١بط ٣ : ٢٠ - ٢١) .

وبناء عليه عيد الغطاس ، يذكرنا بمكانة وأهمية الأسرار الكنسية السبعة ، وأدوارها الروحية الأساسية، في الحياة مع الله، والتي لا يمكن الاستغناء ، عنها على الإطلاق!! .

لا يفوتنا أن نشير ، إلى جانب هو ، من جوانب عيد الغطاس ، وهو أن :

٦- المسيح علمنا آداب الحديث ، مع الآخرين .

وهذا يتضح لنا ، من عدم قبول يوحنا المعمدان ، بأن يعمد المسيح ، في بداية اللقاء ، وذلك نظراً لأنه كان يعرف عنه ، أنه هو الله الظاهر في الجسد ، فلذا بادر المسيح قائلاً له : « أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتى إلى » (مت ٣ : ١٤) .

إلا ان المسيح ، تمسك بأن يعتمد من يوحنا المعمدان ، نيابة عنا ، مخاطباً إياه : « اسمح الآن ، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر ، حينئذ سمح له » (مت ٣ : ١٥) . وبالفعل اعتمد المسيح منه .

ومع ذلك لو رجعنا للكتاب المقدس ، لوجدنا فيه أمثلة أخرى كثيرة ، تحدثنا عن آداب المسيح في أحاديثه ، وفى مقدمتها أنه كان يتحدث مع الناس بالأساليب والطرق ، التي كانت تناسب شخصياتهم ، ولا يتعالى عليهم ، بالرغم من أنه : « المذخر فيه ، جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) . وكلى القدرة والسلطان .

وبالرغم من قدرته وسلطانه ، الذين لا مثيل لهما على الإطلاق ، إلا أنه كان : « لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع ، في الشوارع صوته » (إش ٤٢ : ٢) ، (مت ١٢ : ١٩) .

هكذا كان المسيح له المجد ، في أوقات ومواقف صعبة وكثيرة، يعتدون عليه الأشرار ، بالتهم والتجاديف والشتائم، مع البصق على وجهه ، والجلد والصلب ، حتى الموت ، إلا أن الكتاب شهد له ، وشهد لآداب أحاديثه بقوله : « الذى إذ شُتم ، لم يكن يشتم عوضاً ، وإذ تألم ، لم يكن يهدد ، بل كان يسلم لمن يقضى بعدل » (١بط ٢ : ٢٣) .

ومع ذلك آداب أحاديث المسيح ، تظهر جلياً بوضوح، حتى مع بطرس الرسول الذى أنكره ثلاث مرات ، ثم سامحه وغفر له خطاياه ، وأرجعه إلى رسوليته ، مكلفاً إياه برعاية شعبه (يو ٢١ : ١٥ -١٧) .

وهكذا تعامل المسيح مع يهوذا الإسخريوطى ، في منتهى الأدب واللقة ، بالرغم من أنه خانه وباعه بثلاثين من الفضة ، وسلمه لأيدى أعدائه ، قائلاً له أمام الجميع :« يا صاحب » (مت ٢٦ : ٥٠)، ولم يقل له يا خائن .

فمن كل هذه الأمثلة ، التي ذكرها الكتاب المقدس لنا ، عن آداب أحاديث المسيح مع الآخرين ، يجب أن نتعلم منها آداب الحديث مع الآخرين ، عاملين بوصيته القائلة لنا : ((تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم)) (مت ١١ : ٢٩) .

نختم حديثنا ، بدرس هام فى هذا العيد المبارك ، وطالبنا به المسيح ، فى يوم عماده ، وهو أن :

٧ – نتذكر أهمية حياة البر مع الله ، وضرورة استمراريتها ، وتكملتها حتى نهاية حياة كل إنسان .

لذلك من المعروف إيمانياً ، ومُسَلَّم به لنا ، هو بأن حياة البر مع الله ، تبدأ بالإيمان به ، وبوجوده وعمله وشرائعه ، وما قدمه من فداء وخلاص للبشرية ، لأنه : ((بدون الإيمان ، لا يمكن إرضاؤه)) (عب ١١ : ٦) .

ثم يلى دور الإيمان فى حياة البر مع الله ، أيضاً دور المعمودية ، لأن من خلالها تموت الطبيعة الفاسدة، التى وُلِد بها الإنسان من والديه (رو٦ : ٣) ، ويولد ولادة ثانية روحية ، من الله (تى ٣ : ٥) ، بواسطة الروح القدس والماء والدم (١يو ٥ : ٨) .

وبالطبيعة الجديدة ، التى حصل عليها المعمد فى المعمودية ، تساعده على فعل البر بكل جوانبه .

ثم يلى دور المعمودية ، فى حياة البر مع الله ، يأتى دور التوبة والرجوع لله ، لأن الإنسان عرضة للسقوط والخطأ ، فى أية خطية ، وفي أي وقت ، وبالتالى يحتاج الإنسان إلى التوبة ، التى لها دور هام فى رجوعه إلى فعل البر .

مع الحرص على حفظ وصايا الله ، أو العمل بها ، بالإضافة إلى الثبات والتمسك بالإيمان المستقيم ، المُسَلَّم للكنيسة ، والجهاد الروحى لاقتناء الفضائل الروحية والتدرج فى اقتنائها ، للوصول إلى حياة التقوى (أع ١٠ : ٣٥) ، والكمال المسيحى ، المطالب به كل إنسان : ((كونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات ،هو كامل)) (مت ٥ : ٤٨) .

كل هذه الجوانب هامة ، ولا غنى عنها فى حياة البر مع الله ، إلا أنها يجب أن تستمر ، وتكتمل حتى النفس الأخير، من حياة كل إنسان ، لأنه أن : ((رجع البار عن بره ... كل بره الذى عمله ، لا يُذكَر له)) (حز١٨ : ٢٤) .

فمن هنا يطالبنا المسيح له المجد ، بأن نكمل كل بر ، إلى نهاية حياة كل إنسان منا (مت ٣ : ١٥) .

ختاماً – فى نهاية حديثنا من كلمة العيد ، أطلب لكم جميعاً ولبلادنا العزيزة مصر ، وللعالم أجمع ، كل بركة وسلام وخير وتقدم .

ولإلهنا المجد الدائم إلى أبد الآبدين

تحريراً ١٩ / ١ / ٢٠٢٠ م

بنعمة الله

الأنبا أغاثون

أسقف كرسى مغاغه والعدوه

ورئيس رابطة خريجى الكلية الإكليريكية